مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (23) – العدد (01) (جوان، 2022) - ص 257- 270
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

الشروط المعرفية والمنهجية لتوظيف الدراسات السابقة في البحث (مراجعة علمية)

Cognitive and Methodological Conditions for Employing Previous Studies in Research

(Scientific Review)

ناجم مولاي*، (جامعة عمار ثليجي الأغواط)، ndjemmoulay@yahoo.fr

تاريخ الاستلام	2021-03-06	تاريخ القبول	2022-01-06

ملخّص

تهدف هاته الورقة البحثية إلى التعريف بالدراسات السابقة باعتبارها من أهم الركائز العلمية التي يتم الاعتماد عليها في مشروع البحث العلمي، كونها تُعد مصدراً غنياً من خلال بلورة إشكالية البحث المُعتزم إنجازه، وتحديد أبعاده ومجالاته، وإغنائه بالمعارف والنتائج التي توصل إليها الآخرون في هذا المجال. مع إيضاح الأسس المنهجية في توظيف الدراسات السابقة خصوصاً ما يتعلق بالملخص والتقييم والتوظيف.

الكلمات المفتاحية: شرط؛ معرفة؛ منهج؛ توظيف؛ دراسة سابقة.

Abstract

This research paper aims to introduce the previous studies as one of the most important scientific pillars that are relied upon in the scientific research project, as it is a rich source through crystallizing the problematic of the research to be accomplished, defining its dimensions and fields, and enriching it with knowledge and results reached by others in this field, with clarification of the methodological foundations in employing previous studies, especially with regard to the summary, evaluation and employment.

Keywords: condition; knowledge; method; employment; previous study.

* المؤلف المرسل

مقدّمة

لقد نمت المعرفة نمواً هائلاً، فأصبح استعراض الدراسات السابقة من أهم مراحل إنجاز البحث العلمي، سواء أكان البحث المُنجز دراسة ميدانية، أم نظرية، أم هما معاً، وفي ظل ما لمسناه من نقص لدى الطلبة والباحثين في هذه المسألة بخصوص عملية الإشراف على مذكرات الماستر والدكتوراه، أو تحكيم المقالات في الملتقيات العلمية والأيام الدراسية، أو في ظل مراجعتنا لبعض المقالات المنشورة ضمن المجلات العلمية المحكمة في بعض المجلات، إضافة إلى الإهمال الكبير للدراسات السابقة رغم أهميتها القصوى على أكثر من صعيد، تولد لدينا إحساس أننا بأمس الحاجة إلى كتابة هذه الورقة البحثية.

من هذا المنطلق ستحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن **الإشكالية** التالية:

- ما المقصود بقولنا: دراسات سابقة؟ وما الفرق بينها وبين الإطار النظري والدراسات النظرية؟

حيث تنضوي تحت هذه الإشكالية **تساؤلات فرعية** أهمها:

1- ماهي أنواع الدراسات السابقة، وكيف يمكن للباحث التمييز بينها؟ وماهي مصادرها؟
2- أين تكمن أهمية الدراسات السابقة بالنسبة للبحث العلمي؟ وكيف يمكن مراجعتها؟
3- فيم تتمثل الشروط المعرفية والمنهجية اللازم للباحث معرفتها من أجل توظيف الدراسات السابقة؟

و**تهدف هذه الدراسة** إلى للقيام بمراجعة كل ما يمس العلاقة بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية لفائدة الباحثين في مرحلة الماستر أو الدكتوراه؛ من أجل المساهمة في الرقي بمستواهم المنهجي والمعرفي قصد إكسابهم القدرة على التعامل مع مرجعية الدراسة وكيفية الاستفادة منها في البحوث المزمع إنجازها.

ومن أهم **الدراسات السابقة** التي تناولت موضوع البحث، اقتصرنا على دراسة محلية عربية عنوانها (الأسس المنهجية في توظيف الدراسات السابقة) للباحث ميلود سفاري، وهي دراسة حديثة تندرج ضمن مجال الدراسات النظرية، انطلقت من إشكال مفاده: كيف يتم توظيف الدراسات السابقة منهجيا في مختلف البحوث؟ هدفت هذه الدراسة إلى تبيان أهمية الدراسات السابقة في اختيار موضوع البحث وتحديد إشكاليته وطريقة معالجته، مع التعريف بالأسس المنهجية في توظيف الدراسات السابقة في البحث، أما منهج الدراسة، فتمثل في اعتماد الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب مع طبيعة موضوع البحث، حيث توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: أنه يمكن اختصار الأسس المنهجية في توظيف الدراسات السابقة في جملة واحدة هي: الإشكالية، والمنهجية، والنتائج، أما الباقي فهي حواشي مساعدة بالرغم من أنها ضرورية.

وكتقييم لهذه الدراسة يمكن القول إن الباحث قد وفق في إظهار الأسس المنهجية في توظيف الدراسات السابقة في البحوث المختلفة من خلال تبيانه لأهميتها وكيفية توظيفها، لكن الأمر لم يكن موفقا بخصوص إظهار الأسس المعرفية في توظيف الدراسات السابقة، وهو الأمر الناقص الذي هدفت دراستنا إلى تناوله.

ومن هذا المنطلق، نكون قد عرفنا ماذا درست الدراسة السابقة وماذا لم تدرس، بغية أخذه بالدراسة، أو دُرس وكانت الدراسة ناقصة، وبالتالي هدف بحثنا إلى دراسة ما كان ناقصا في الدراسة السابقة. في إطار تكاملي بين الأسس المنهجية والمعرفية في توظيف الدراسات السابقة في مختلف البحوث.

وقد اعتمدنا في إنجازنا لهذه الورقة البحثية على **المنهج الوصفي التحليلي** لملائمته لطبيعة البحث، ولتقديم رؤية متكاملة في توظيف الدراسات السابقة منهجيا ومعرفيا، تضمن لنا تجاوز كل الثغرات التي يمكن للباحث أن يقع فيها عند توظيفه الدراسات السابقة في بحثه.

ومن هذا المنطلق خلصت دراستنا إلى **جملة من النتائج** نختصر ها كالآتي:

إن الدراسات السابقة لها من الأهمية لدرجة لا يمكن لأي باحث في مجال بحثي ما الاستغناء عنها؛ نظراً لما تُقدمه من سمات معرفية ومنهجية تُساهم في رقي البحث العلمي، وحل المشكلات البحثية على مستوى جميع مجالات التخصصات العلمية، لكن وفق شروط معرفية ومنهجية صارمة تُوجب على كل باحث التفريق بين الدراسات السابقة وبين دراسته الحالية، وهذا لن يكون إلا بالقراءة التحليلية المُعمقة للدراسات المماثلة مع مُراجعتها مُراجعة وصفية تحليلية منهجية شمولية...، يتضح من خلالها تصنيف كل عمل في سياق مساهمته في فهم مشكلة البحث قيد الدراسة.

الدراسات السابقة (مدخل مفاهيمي)

إن المُراجعة الأولية للتراث الأدبي عن الدراسات السابقة وتميّزها عن الدراسة الحالية يتطلب منا في البدء ما يلي:

تعريف الدراسات السابقة

تعدّ الدراسات السابقة بشكل عام، كل الأبحاث التي تحترم القواعد المنهجية في البحث العلمي، وقد يوجد هذا النوع من الدراسات في: (المجلات، أو في البحوث، أو في الكتب، أو في المخطوطات أو في المذكرات، أو الرسائل، أو الأطروحات الجامعية) شريطة أن يكون للدراسة موضوع وهدف ونتائج؛ وإما إذا وجد فرضيات البحث والعينة والمنهج والأدوات، فالدراسة تُصبح أكثر تفصيلاً ودقة، (زرواتي ، 2004، صفحة 79).

أما من الناحية الاصطلاحية فالمراد بها «مراجعة الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، أو بعض جوانبه حتى يتسنى للباحث أن يبدأ مما انتهى غيره، وأن يوضح مدى الاختلاف والتشابه بين دراسته وبين من سبقه من دراسات» (العزاوي، 2008، صفحة 46) كما

يراد بها أيضاً الدراسات السابقة التي تشمل كل الدراسات والكتابات المتصلة بالموضوع التي تم نشرها بأي شكل من الأشكال، بشرط أن تكون ذات قيمة علمية (ورنيد، 2016، صفحة 76).

كما نجد من جعل للدراسات السابقة اسما مرادفا وهو مرجعية الدراسة، الذي يُراد به الأبحاث والدارسات التي تناولت الموضوع، وتكتب في شكل أفكار علمية متسلسلة تعكس فهم الباحث لتلك الدراسات، لا أن تكون في صورة ذكر متسلسل لها، بل ينبغي أن يذكر أوجه التشابه والاختلاف من حيث: الهدف والعينة والتصميم، ويُستحسن التركيز على المقالات والأبحاث المحكمة والمنشورة، وكذلك في مرجعية الدراسة يجب ذكر طبيعة المصادر والمراجع المستخدمة، وهي دليل على إمكانية إجراء البحث (بختي، دس، صفحة 16).

والدراسة السابقة إما أن تكون مطابقة، ويشترط حينئذ اختلاف ميدان الدراسة؛ أو تكون مشابهة وفي هذه الحالة يدرس الباحث الجانب الذي لم يتناول بالدراسة (بختي، دس، صفحة 79).

الفرق بين الإطار النظري والدراسات النظرية والدراسات السابقة

لقد ميز الباحث "رحيم يونس كرو العزاوي" بين مصطلح الدراسات السابقة الذي عرفناه سابقاً، وبين مصطلح الإطار النظري ومصطلح الدراسات النظريات بقوله:

أ- الإطار النظري هو: «الخلفية العلمية النظرية التي يحتاج الباحث للعلم بها ليستطيع بالتالي أن يعُد بحثاً علميا له أهداف، وفروض علمية يكون لتحقيقها أثر في البناء المعرفي» (العزاوي، 2008، صفحة 45).

فإعداد بحث حول الرضا الوظيفي مثلاً: يتطلب من الباحث أن يكون على دراية بنظريات الرضا الوظيفي حتى يكون لبحثه أثر في الإضافة العلمية.

ب- أما الدراسات النظرية فهي «الوثائق المنشورة كتباً كانت أم غيرها، وكذلك وثائق غير منشورة ليستنتج منها الأدلة والبراهين التي تجيب على أسئلة بحثه» (العزاوي، 2008، صفحة 46).

خاصة إذا كان البحث ذا منهجية (وثائقي مسحي) مثلاً.

أنواع الدراسات السابقة

تختلف الدراسات السابقة باختلاف طبيعة مشكلة البحث ومنهج البحث، لاسيما طريقة جمع المادة العلمية أو طبيعتها، ونذكر من الأمثلة على ذلك:

الدارسات الميدانية والمعملية

تتميز هذه الدراسات بأن الباحث يستطيع فيها فصل جهوده الشخصية عن مجهودات السابقين فصلاً تاماً، وأن يجعل جهوده في فصل أو فصول خاصة بها. ولا تختلط مادته العلمية أو براهينه ببراهين الدراسات السابقة أو نتائجه بنتائجها، ومن أمثلة المادة العلمية لهاته الدراسات ما ينتج عن ملاحظة الإنسان أو النباتات أو الحيوانات أو الجمادات في الميدان أو في المعمل والبيانات الإحصائية (إسماعيل، 2010، الصفحات 207-208).

الدراسات المكتبية

هي التي يعتمد فيها الباحث -- تقريباً- بالكامل على المكتبة للحصول على مادته العلمية، وتتميز هذه المعلومات بأنها غالباً تأخذ صيغة النتائج النهائية لدراسات قام بها الآخرون، أو الكاتب نفسه، وربما مناقشات لبعض النتائج التي وردت في دراسات سابقة (إسماعيل، 2010، صفحة 209).

وعموماً يغلُب على الدراسات الميدانية والمعملية أنها تستخدم الأسلوب الكمي، وهذا بخلاف الدراسات المكتبية التي يغلب عليها استخدام الأسلوب الكيفي.

مصادر الدراسات السابقة

هناك مصادر عدة للحصول على الدراسات السابقة أهمها (حلس، 2006، الصفحات 87-88).

المصادر التمهيدية المطبوعة وتنقسم إلى نوعين

1- الرسائل العلمية الجامعية (الماجستير، الدكتوراه).
2- الأبحاث المهنية المنشورة في المجلات العلمية المحكمة، وأفضلها حديثة العهد مالم يكن القديم مطلوباً لسبب معرفة المقارنة أو إبراز الجانب التاريخي أو التطوير...

المصادر التمهيدية غير المطبوعة

وهذه المصادر نجدها منشورة عبر المواقع الإلكترونية منها: ما هو خاص بالرسائل العلمية:(ماجستير، دكتوراه)، ومنها ما هو خاص بالمجلات والدوريات. وهذه المواقع الإلكترونية خاصة بكلية الدراسات العليا، وهي في متناول الجميع، وتستفيد منها الجامعات العربية والجامعات الغربية أيضاً، بل أكثر من ذلك الكل يستغلها في عرض ما يتوافر لديه من أبحاث قيمة تسهيلاً للباحثين في إنجاز بحوث عليمة جادة وأصيلة.

أهمية الدراسات السابقة والنفع الذي تقدمه للبحث العلمي

تعدّ الدراسات السابقة من حيث توفر المبرر العلمي والبحثي، والاستفادة من الإطار النظري، والاطلاع على مناهج متعددة وأساليب مختلفة في التحليل واستخدام التقنيات الإحصائية المختلفة إضافة لبعض النتائج الهامة، نقطة قوة في البحث وانطلاقة جديدة لدراسة علمية جديدة تُساهم في تطور البحث العلمي.

كما أن الدراسة السابقة باعتبارها عرض واستخلاص ما نشر حول موضوع مشروع البحث العلمي في الأدبيات العلمية المحلية والعربية والعالمية (سليمة، 2017، صفحة 29)، يُمكننا من معرفة نقاط القوة ونقاط الضعف ما بين الدراسات السابقة، ما يسمح لنا باستثمار ما هو إيجابي في مجال الدراسة الحالية قيد البحث. ويراعى ترتيب الدراسات السابقة من الأحدث إلى الأقدم بداية بالدراسات المحلية ثم العربية ثم الأجنبية، ولا بد من الإشارة إلى مدى الاستفادة من هذه الدراسات وتميّز الدراسة الحالية عنها (مصلحة شؤون الطلبة، 2015، صفحة 4،5).

وتهدف الدراسات السابقة أيضاً لتوفير الخلفية العلمية والمناخ المناسب للباحث في موضوع دراسته، وتساعده على إجراء مقارنة بين نتائجه ونتائج الباحثين السابقين، كما تساعده على التوصل إلى صياغة علمية دقيقة ومحددة ومضبوطة لأهداف طبيعة بحثه (ورنيد، 2016، صفحة 76).

كما يمكننا استطلاع الدراسة السابقة من مناقشة وتلخيص الأفكار الهامة الواردة فيها وهذا له قدر كبير من الأهمية بالنسبة للدراسة الحالية، ما يسهم في: (توضيح وشرح خلفية الدراسة، وضع الدراسة في الإطار الصحيح، وتحديد الموقع المناسب للدراسة بالنسبة للدراسات الأخرى، وبيان ما ستضيفه الدراسة إلى التراث الثقافي، مع تجنب الأخطاء والمشكلات التي وقع فيها الباحثون السابقون واعترضت دراستهم، كما تمكننا من تجنب التكرار غير المفيد وعدم إضاعة الجهود في دراسة موضوعات بُحثت بشكل جيّد في دراسات سابقة (فوزي، 1981، صفحة 22).

إضافة إلى المساعدة على التحكم في الموضوع وتكوين خلفية نظرية عنه وفق تجربة سابقة. إن الدراسات السابقة توفر على الباحث الجهد في اختيار الإطار النظري العام للموضوع، كما تبصره بالصعوبات التي واجهت من سبقه سواء أكانت هاته الصعوبات معرفية أم مادية، أم في كيفية التعامل مع البحث ميدانياً (إن وجد). مع أنها تبصره بأخطاء الآخرين أيضاً، فالباحث الذي ينطلق من النقطة التي وصل إليها غيره لا شك أنه سوف يكون قادرا على الإبداع وعلى إضافة الجديد (سفاري، الأسس المنهجية في توظيف الدراسات السابقة، 1995، الصفحات 38-40).

مراجعة الدراسات السابقة

بالنسبة لمراجعة الدراسات السابقة مراجعة وظيفية، لا بد أن نراعي ذلك من حيث:

- أولًا: تحقيق الأهداف (جابر ، 2019، صفحة 7) من خلال:
  1- تحديد المجالات الموضوعية السابقة لمنع الازدواجية في الجهد البحثي.
  2- كشف أي ثغرات موضوعية، أو تحليلية موجودة في الدراسات السابقة.
  3- الاطلاع على المقاربات النظرية والمنهجية المعتمدة في معالجة موضوع الدراسة.
  4- إبراز الحاجة إلى إجراء بحوث إضافية / تبرير مشكلة الدراسة.
  5- تحديد موقع البحث الخاص بك في سياق الأدبيات الموجودة.
  6- مقارنة نتائج دراستك لاحقاً مع نتائج الدراسات السابقة.
- ثانيًا: اتباع الخطوات العملية (جابر ، 2019، صفحة 8)، من خلال:
  1- البحث الأولي في قواعد المعلومات باستخدام الكلمات المفتاحية للموضوع.
  2- تجميع المصادر والمراجع المتنوعة التي تتعرض للموضوع: (وثائق، ومقالات، وأطروحات...).

3- القراءة التحليلية المعمقة للدراسات السابقة بهدف تحديد زاوية تناول موضوعك (مشكلة الدراسة).
4- مراجعة الدارسات المماثلة وفق تصنيف منطقي مترابط، مراجعة وصفية تحليلية، مراجعة منهجية شمولية.
5- تصنيف كل عمل في سياق مساهمته في فهم مشكلة البحث قيد الدراسة.
6- توصيف علاقته بالأعمال الأخرى.
7- ومن مستلزمات الخطة العملية لدراسة الموضوعات التي لها علاقة بموضوع الباحث أيضاً، أن الباحث عند قيامه بمسح عن الدراسات السابقة عليه أن يركز على الجوانب الآتية:

- أولًا: أن يحصر عدد الأبحاث التي عملت من قبل حول دراسته.
- ثانيًا: أن يوضح جوانب القوة والضعف في الموضوعات ذات العلاقة بموضوع دراسته.
- ثالثًا: أن يبين الاتجاهات البحثية المناسبة لمشكلة بحثه كما تظهر من عملية المسح والتقويم.
- رابعًا: معرفة النظريات ذات العلاقة بموضوع الدراسة، مما يوجب على الباحث الاطلاع عليها وفحصها بتطبيقها فيما يتصل بموضوعه، أو إثبات عدم صلاحيتها في ذلك من خلال مُدخلاتها ومُخرتها، وأن يسلك في ذلك المنهج العلمي، ويجب ألا ينسى أن الدوريات العلمية تُعد من أهم مصادر المعلومات والبيانات الجاهزة، ولا سيما الدوريات التي لها علاقة بموضوع بحثه، حيث تُخصص المكتبات العامة عادة قسماً خاصاً بالدوريات، وأهم ما يميز

هاته الأخيرة أنها تقدم للباحث أحدث ما كُتب حول موضوعه، وأنها تلقي الأضواء على الجوانب التي تُعد مثار الجدل بين الباحثين بمختلف حقول التخصص، وتلك الجوانب تُعد مشكلات جديرة بإجراء أبحاث بشأنها (فوزي، 1981، صفحة 32).

وبالاستفادة مما سبق من إرشادات وتوجيهات يتمكن الباحث من عرض الدراسات السابقة بطريقة منطقية وأمينة، تأخذ في الحسبان عرض الدراسات العربية والأجنبية في شكل مقالي، وأن ترتب الدراسات وفق نسق منطقي واضح (زمانياً وموضوعاتياً...)، مع التركيز على بيان أوجه العلاقة وسبل الاستفادة منها، ويقتصر العرض على: (رسائل الماجستير والدكتوراه، أو البحوث المنشورة في دوريات علمية محكمة، أو التقارير الفنية لمشروعات)، مع اتباع الباحث قواعد الاستخلاص العلمي في هذا الشأن: (مشكلة الدراسة وحدودها، والمنهج وأدواته، وأبرز النتائج والتوصيات، كما يُراعي الباحث تخصيص قسم للدراسات قيد البحث أن وجدت مع التركيز على عرض التشابه والاختلاف بينها وبين الدراسة الحالية (الهيئة المصرية العامة للمواصفات والجودة والمعلومات وقسم المكتبات والوثائق والمعلومات، 2006، صفحة 8).

الشروط المعرفية في توظيف الدراسات السابقة

للوقوف على الشروط المعرفية في توظيف الدراسات السابقة لا بد من معرفة ما يلي:

ضرورة العلم بالموضوعات السابقة: لاختيار موضوع ما، يجب ضرورة الاستكشاف والتنقيب عن موضوعات لها من الأهمية أكبر من تلك التي شغلتنا في وقت مضى، حيث كان يعُوزنا الاطلاع الواسع عليها، وتنقُصنا المعرفة الشاملة لها في ميدان التخصص؛ فإن استكمال هذه العملية يجعل ضرورة العلم بالموضوعات السابقة مَهِمةٌ جديدة تقع على عاتق الباحث؛ لأن تناول موضوع مبحوث «يقلل من شأنه، إذ يدل على الجهل العام وعدم المتابعة والبعد عن جو البحث، وبخاصة إذا كانت المصادر والمراجع واحدة أو متقاربة» (طالب، 2009، الصفحات 25-27).

وتفادياً للوقوع في ذلك نجد أن «بعض الجامعات، تتبادل العلم بالموضوعات المُسجلة إذ تحتفظ بسجل خاص، يراجعه الباحث قبل السير في خطوات الاختيار. ووجود رسائل في إطار جامعة لا يمكن إعادة بحث مواضيعها -في الأقل- ما لم تمض في أكثر الأحيان عشر سنين» (طالب، 2009، الصفحات 25-27).

طبيعة الدراسات السابقة والدراسة الحالية في البحث الفلسفي: للتمييز بين طبيعة الدراسات السابقة والدراسة الحالية، في البحث الفلسفي فقد حدد لنا الباحث "محمود يعقوبي" في مؤلفه (أصول الخطاب الفلسفي- محاولة في المنهجية) (يعقوبي، 1995، صفحة 22 وما بعدها)

والأمر نفسه نجده عند تلامذته أمثال: ("محمد شطوطي" ...وغيرهم)، الذي حدد ثلاثة أصناف من الدراسات، أو البحوث لخصها لنا في كتابه (منهجية البحث، مذكرة تخرج ماجستير دكتوراه دولة) (شطوطي، 2002، صفحة 12،13) كالتالي:

1- الإبداع (الإبداعات الفلسفية): وهو عمل يقوم به الطالب أو الباحث عن تجربة شخصية، وموقف مميز لا يُقلد فيه أحداً، فهو عمل جديد يستمد قوته من فكر الباحث، وتجاربه، وأفكاره، وملاحظاته...

2- الشرح (الحديث عن الإبداعات الفلسفية): هو عمل يقوم به الطالب أو الباحث من أجل شرح ما قيل في موضوع ما من موضوعات تخصصه، مُتبعاً منهجاً علمياً للوصول إلى شروح لا تفتقر إلى شروح أخرى إضافية، وألا يخرج عما قاله صاحب الرأي سواء أكان كِتاباً، أم مَخطُوطاً، ودور الباحث ها هنا الجهد الذي يقدمه لشرح آراء صاحب المكتوب مستخدماً كل الأدوات والوسائل لبلوغ الشرح الكامل والوافي للموضوع.

3- التصحيح (طبيعة البحث الفلسفي): ينكب الطالب أو الباحث هنا -بالدراسة والبحث والتحليل- على الدراسة السابقة، غايته في ذلك الوصول إلى تصحيح ما قيل في الموضوع بالحجة والدليل، مُبيناً صورة الخطأ ليصححه بعد ذلك.

استعراض الدراسات السابقة (القواعد والمهام)

يتعين على الطالب أو الباحث الذي يرغب في إنجاز بحث علمي في مجال جديد أن يقوم بالاطلاع على الدارسات التي أجريت في المجال نفسه، وبغير ذلك تكون محاولات الباحث ضرباً من التخبط يقود حتماً إلى ما وصل إليه من سبقوه، مع احتمال تعرضه للأخطاء نفسها التي تعرض لها من قبله، دون أن تُتاح له الفرصة لإضافة الجديد في هذا المجال (حسن ، دس، صفحة 44).

ومن هذا المنطلق، ولتفادي الوقوع فيما سبقت الإشارة إليه على الطالب أو الباحث أن يَعْرِف ما يلي:

- أولًا: القواعد المكونة لاستعراض الدراسات السابقة: للتمييز بين دراسات سابقة لا يمكن تجاوزها لكونها وثيقة الصلة بالدراسة الحالية وأكثر التصاقاً بها، وبين دراسة سابقة يمكن تجاوزها؛ لأننا لا نجد فيها الكفاية؛ أو لأنها أقل التصاقاً بالموضوع الذي نريد تناوله اعتماد ما يلي (إسماعيل، 2010، صفحة 222):

أ- حصر العناصر التي يتكون منها البحث، في ضوء عنوان البحث، أو في ضوء فقرة تحديد مشكلته، ثم تحديد نقطة الارتكاز في الدراسة.

ب- النظر في الدراسات السابقة واحدة بعد الأخرى لمعرفة نسبة وجود هذه العناصر في كل دراسة سابقة، أي هل تتوفر في عنوانها أو عناوين موضوعاتها الرئيسة والفرعية كل العناصر، أو نسبة سبعين في المائة أو خمسين وأقل...ومن بينها العنصر الذي يمثل نقطة الارتكاز.

- ثانيًا: مهام استعراض الدراسات السابقة: تؤدي عملية استعراض الدراسات السابقة عدداً من المهام بالنسبة للباحث في أثناء تنفيذه لعملية الاستعراض، وللقارئ عند قراءته ما كتبه الباحث حول الدراسات السابقة، ويلخص لنا الباحث "سعيد إسماعيل صيني" هذه المهام في النقاط التالية (إسماعيل، 2010، صفحة 201،205):

1- التأكد من عدم تطرق الدراسات السابقة للمشكلة من الزاوية نفسها وبالمنهج نفسه، أو التأكد من وجود قصور بها من حيث المضمون أو المنهج، يستوجب إعادة البحث أو المزيد من الجهود البحثية، فالقصور في المنهج قد يؤدي إلى نتائج خاطئة، والقصور في المضمون يعني وجود جوانب للموضوع لا تزال في حاجة إلى البحث للإضافة أو التعديل وهذا بالتالي يؤدي إلى البرهنة على أهمية البحث.

2- بيان موقع البحث المقترح من الدراسات السابقة في مجال البحث، وإيضاح نوع المساهمة التي تقدمها الدراسة المقترحة في هذا المجال.

3- المساهمة في توضيح أبعاد مشكلة البحث، والتنبيه على العقبات التي قد تعترض عملية البحث.

4- تزويد الباحث بأفكار كاملة أو جزئية عن المنهج المناسب لإجراء دراسته، أو تنبيه الباحث إلى ما يوجد في مناهج الدراسات السابقة من الإيجابيات ليستفيد منها وتحذيره من سلبياتها ليتجنبها.

5- تنبيه الباحث على مصادر علمية قد لا يعرفها، أثبتتها الدراسات السابقة في قوائم مراجعها.

6- تعريف الباحث بطبيعة المادة العلمية الموجودة مثل:(كون المادة العلمية ميسرة، أو صعبة المنال، وكونها معقدة، أو غير معقدة...).

7- تزويد الباحث بالإطار النظري، أو بما يمكن تسميته باللقطة العامة، أو الأساس الذي يبني عليه دراسته، مع ملاحظة الفرق بين التمهيد والدراسات السابقة في هذا المضمار.

8- تزويد الباحث بخلفية يُناقش في ضوئها نتائج بحثه.

موقع الدراسات السابقة في الدراسة الحالية

لقد استعمل السلف عملية استعراض الدراسات السابقة في صورتين (إسماعيل، 2010، صفحة 222،223):

1. الإشارة في مقدمة الكتاب إلى المؤلفات التي سبقت جهودهم في الكتابة في الموضوع الذي يؤلفون فيه، وذلك في معرض الحديث عن الدوافع.
2. عرفوه بصورة أخرى في الكتابات الفقهية، بصفة خاصة، حيث يعرض الفقيه آراء بعض السابقين في المسألة الواحدة ويناقش أدلتها، ثم يتبع ذلك برأيه وما يرجحه هو.

ويلاحظ أن ممارستهم لعملية الاستعراض- أي الفقهاء- في مقدمة الكتاب متفقة مع حدود المجالات التي كتبوا فيها، وفي حدود ما عرفوه في ذلك الوقت من أساليب البحث العلمي، وفي حدود المصادر المحدودة التي توفرت لديهم والظروف العامة التي كتبوا فيها، ولذا جاء الاستعراض في مؤلفاتهم على شكل مختصر يؤدي وظيفة محددة هي إثبات جدوى التأليف في الموضوع الذي يتناوله الكتاب.

كما يتفق الأغلبية - اليوم- على عرض الدراسات السابقة في المقدمة بعد أن يحرر الطالب (الباحث) رسالته ويُعرض فصولها على المشرف، وبعد موافقة هذا الأخير، يشرع في تحرير المقدمة، والمقدمة في البحث العلمي لها خطواتها، خطوتها الثالثة هي الدراسات السابقة حول الموضوع، بعد أن يذكر الباحث: (أهمية البحث- وأهداف البحث- تأتي الدراسات السابقة...) (شطوطي، 2002، صفحة 36،37). إضافة إلى: (إشكالية البحث- فروض حل الإشكالية- كيفية التحقق من الفروض (الأدوات والمناهج) - محتويات البحث (الأقسام، أو الأبواب والفصول) - المصادر والمراجع الأساسية في البحث- والشكر لمن قدموا يد العون في البحث (شطوطي، 2002، صفحة 37).

وهناك من جعل الدراسات السابقة في المقدمة أيضاً، لكن في مرتبة خامسة، بعد أن يذكر الباحث:(البسملة والحمد- التمهيد- طرح الإشكالية- أسباب اختيار الموضوع- أهمية الموضوع وأهدافه- تأتي الدراسات السابقة...) (سديد، 2013، صفحة 85)

أما بالنسبة لمن يضعون الفصل الأول تحت مسمى "موضوع الدراسة، أو مدخل تمهيدي للدراسة" فإنهم يجعلون الدراسات السابقة في المرتبة السابعة- خصوصاً في الدراسات الاجتماعية-، وهذا بعد أن يَعرض الباحث: (الإشكالية- أهمية الدراسة- أسباب اختيار الموضوع- هدف البحث- تحديد المفاهيم- الأصول النظرية للبحث (المدخل المنهج) - تأتي الدراسات السابقة- وبعدها تأتي الفرضيات) (زرواتي ، 2004، صفحة 55).

والفرق بين ممارسة الفقهاء والطريقة الحديثة في مقدمة البحث أننا لا نناقش الأدلة عند استعراض الدراسات السابقة إلا لوجود وهن ظاهر في حال الدراسات الميدانية ولا سيما الاستقرائية، التي يمكن فصل جهود الباحث عن جهود سابقيه. أما في الدراسات المكتبية، فإننا عند الاستعراض لهذه الدراسات السابقة فإننا نجد فرقين (إسماعيل، 2010، صفحة 224):

- أولًا: عند الاستعراض للدراسات السابقة في مقدمة الخطة أو التقرير، لا نورد الأدلة ولا نناقشها، بل نقتصر على إيراد الآراء المتعددة، ونترك مناقشتها بأدلتها في فصولها ومباحثها الخاصة في صلب الدراسة.

- ثانيًا: إن الفقهاء يصيغون اسم صاحب القول ضمن النص، ونحن نحرص على التوثيق الكامل في الحاشية، أو موزعة بين الحاشية وقائمة المراجع.

الشروط المنهجية في توظيف الدراسات السابقة

كثيرا ما يتعامل الباحثون مع الدراسات السابقة تعاملاً مُختلفا ينعكس إما بالسلب، أو بالإيجاب على الدراسة الحالية، وهنا شعرنا بمسيس الحاجة إلى ضرورة إيضاح كيفية التعامل مع الدراسات السابقة منهجياً أيضاً، ومن هذا المُنطلق إذا طُلب منا عرض أي دراسة سابقة في البحث، فنقول إن الطالب أو الباحث يمكنه عرض الدراسات السابقة منهجياً على النحو التالي: (ملخص عن الدراسة - تقييم الدراسة- توظيف الدراسة).

ملخص الدراسة

- أولًا: ذكر عنوان الدراسة.
- ثانياً: ذكر الجهة التي قامت بالدراسة، أو أشرفت عليها، سواء أكان الباحث شخصاً أم فريق بحث، أم هيئة بحث.
- ثالثاً: ذكر زمن الدراسة، أي التاريخ الذي أجريت فيه الدراسة، ويفضل أن تراعى الدراسات الحديثة.
- رابعاً: مكان الدراسة.

- خامساً: المدة التي استغرقتها الدراسة، فالدراسة التي تدوم سنوات ليست كالتي تنجز في شهور.
- سادساً: طبيعة الدراسة، نظرية أم ميدانية.
- سابعاً: إشكالية الدراسة: أي ذكر التساؤلات الكبرى التي طرحها الباحث.
- ثامناً: منهجية الدراسة التي اعتمدها الباحث، وكيف استخدمها، ويدخل ضمن هذا الإطار ذكر: المنهج، والفرضيات، والأدوات، ومواصفات العينة.
- تاسعاً: ذكر الأهداف الرئيسية التي كانت الدراسة ترمي إليها.
- عاشراً: الخطوات الرئيسة لسير الدراسة، وتكون في شكل عرض شامل ومختصر لخطة البحث.
- إحدى عشر: عرض أهم النتائج التي توصل لها الباحث، والتركيز على الإضافة العلمية أو المنهجية في حق المعرفة، أو النظريات التي خرج بها الباحث، والتي يمكن أن تعدّ إبداعاً في هذا الحقل من البحث (زرواتي ، 2004، الصفحات 79-81).

أما بخصوص كتابة الدراسات السابقة في الدراسة الحالية، فإنه يفضل منهجياً، أن يكتب الباحث الدراسات السابقة في بحثه في شكل فقرات، وليس في شكل عناوين؛ حتى لا تختلط الأمور على المناقش، أو القارئ بخصوص مثلاً: (فرضيات البحث الخاصة بالدراسة السابقة وفرضيات البحث الحالي الذي هو بصدد إنجازه).

- كما يشترط منهجياً، أن يذكر في هامش الصفحة (أسفل الصفحة) المرجع، أي ضرورة تهميش مرجع الدراسات السابقة، دون أن يكتب صفحة المرجع؛ لأن الدراسة السابقة هي ملخص للدراسة، وليست خاصة بمحور معين يتطلب تحديد صفحاته.
- وإضافة لما سبق، هناك من ينصح بترتيب وتصنيف الدراسات السابقة خصوصاً إن كانت لدينا أكثر من واحدة في البحث، وعليه يجب مراعاة ما يلي (سليمة، 2017، صفحة 29):

1- أن ترتب من الأقدم إلى الأحدث بحسب تسلسل زمني مترابط.

2- يتم وضعها في البحث بحسب التصنيف التالي:

أ- دراسات محلية.

ب- دراسات عربية.

ج- دراسات أجنبية.

تقييم الدراسة

وفيه يقوم الباحث بإظهار مواطن الضعف ومواطن القوة في الدراسة السابقة، وتبيان القيمة العلمية النظرية، أو التطبيقية التي توصل إليها الباحث (زرواتي ، 2004، صفحة 81).

توظيف الدراسات السابقة

وفيه يقوم الباحث بمقارنة الدراسة السابقة ببحثه، وذلك لمعرفة: ماذا درس؟ وماذا لم يدرس؟، بُغية أخذه بالدراسة، أو دُرس وكانت الدراسة ناقصة، وبالتالي فالباحث يهدف من بحثه إلى دراسة ما كان ناقصاً (زرواتي ، 2004، صفحة 81).

خاتمة ونتائج الدراسة

في الأخير ومما سبق، يتضح لنا أن الدراسات السابقة سواءً أكانت مكتبية، أم ميدانية معملية لها من الأهمية لدرجة لا يمكن لأي باحث في مجال بحثي ما الاستغناء عنها؛ نظراً لما تُقدمه من سمات معرفية ومنهجية تُساهم في رقي البحث العلمي، وحل المشكلات البحثية على مستوى جميع مجالات التخصصات العلمية، لكن وفق شروط معرفية ومنهجية صارمة تُوجب على كل باحث التفريق بين الدراسات السابقة وبين دراسته الحالية، إذ عليه أن يُشير إلى مجهودات الباحثين الذين سبقوه إلى التطرق من قريب، أو بعيد لموضوع بحثه؛ وهذا يكون بذكر أسمائهم وعناوين مؤلفاتهم، كما يُركز على أهم ما قدموه في هذا الموضوع منهجياً ومعرفياً، مع ما يُريد هو أن يُعالجه، أو يُضيفه إلى هذا الموضوع من خلال بحثه سواء على المستوى المنهجي، أو المستوى المعرفي كذلك؛ وهذا لن يكون إلا بالقراءة التحليلية المُعمقة للدراسات المماثلة، مع مُراجعتها مُراجعة وصفية تحليلية منهجية شمولية...، يتضح من خلالها تصنيف كل عمل في سياق مساهمته في فهم مشكلة البحث قيد الدراسة.

وكسبيل لخدمة الباحثين والمجال البحثي، وبناءً على ما أفادت به هذه الورقة البحثية من معلومات نقترح التوصيات الآتية:

- أولًا: اقتراح أن تسجل كل دارسة علمية مُنتهية ملخصاً يُنشر إلكترونياً، أو في نهاية كل دراسة، يمكن للباحثين، أو الطلبة الرجوع إليه والاستفادة منه في حالة كانت هذه الدراسة لها علاقة بالمشكلة البحثية المدروسة، ويُشترط في هذا الملخص العناصر الآتية حتى لا يعود الباحث للدراسة ويقع فيما هو محضور:
  1. عنوان المذكرة.
  2. مكان وزمن الدراسة.
  3. مدة الدراسة.
  4. وصف إشكالية البحث.
  5. المنهجية المستخدمة، الفرضيات، وصف موجز للعينة.
  6. عناوين الدراسات السابقة ومصدرها.
  7. وصف موجز لميدان البحث.
  8. قائمة المراجع.
  9. ذكر أهم الصعوبات.
- ثانيًا: اقتراح أن يضع كل قسم تابع لكلية داخل الجامعة أو المعهد سجلاً خاصا بتسجيل الدراسات السابقة، ورقياً أو إلكترونيا؛ حتى يُسهل على اللجنة العلمية ولجنة الإشراف معرفة الموضوعات السابقة المقدمة للبحث وعلاقتها بالموضوعات الجديدة التي ستقدم للطلبة والباحثين، وهذا تفادياً لتكرار الموضوع نفسه

على الأقل قبل مرور عشر سنوات، مع معرفة طبيعة الدراسات المقدمة سابقاً والدراسة الجديدة التي سيتم تقديمها.

وفي الأخير تبقى أهمية الدراسات السابقة في الدراسات قيد البحث مُعلقة ما لم تفِ نتائج الدراسات الحالية منها بحل أزمات الفرد والمجتمع والدولة - التي عجزت الدراسات السابقة عن حلها- بما يحقق الأمن الفكري والقومي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، فما السبيل إذن إلى تحقيق ذلك؟

قائمة المراجع

1. إبراهيم، بختي. (دس). *الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والأطروحات (دط)*. ورقلة: جامعة قاصدي مرباح، كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية .
2. أحمد، طالب. (2009). *منهجية إعداد المذكرة والرسائل الجامعية، دليل الباحث* (ط.6). وهران، الجزائر : دار الغرب للنشر والتوزيع.
3. أحمد عبد المنعم، حسن . (دس). *أصول البحث العلمي وأساليبه كتابة البحوث والرسائل العلمية* (ط1). القاهرة، مصر: المكتبة الأكاديمية.
4. الصيني، سعيد إسماعيل. (2010). *قواعد أساسية في البحث العلمي* (ط.2). المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية : مكتبة الألوكة.
5. الطيب، ورنيد. (2016). *خطوة نحو علم الاجتماع تعاريف، نظريات، منهجية لطلبة الجامعة* (ط.1). الأغواط، الجزائر: مطبعة بن سالم.
6. الهيئة المصرية العامة للمواصفات والجودة والمعلومات وقسم المكتبات والوثائق والمعلومات. (2006). *خطوط إرشادية لتقديم مخطط (خطة) للتسجيل الماجستير والدكتوراه* (دط). القاهرة، مصر : كلية الآداب إدارة الدراسات العليا.
7. بلخير، سديد. (2013). *منهجية البحث العلمي وأصالتها عند المسلمين (دط)*. القبة القديمة، الجزائر : دار الخلدونية للنشر والتوزيع.
8. جميلة، جابر. (2019). *البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية (الخطوات المتبعة)*. مصنف مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي المصنف 4.0 الدولي.
9. داود، بن درويش حلس. (2006). *دليل الباحث في تنظيم وتوضيح البحث العلمي في العلوم السلوكية* (المجلد دط). غزة، فلسطين: الجامعة الإسلامية.
10. رحيم يونس، كرو العزاوي. (2008). *مقدمة في منهج البحث العلمي* (المجلد 1). الأردن، عمان: دار دجلة ناشرون وموزعون.
11. رشيد، زرواتي . (2004). *منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية (أسس علمية وتدريبات)* (دط). الجزائر: دار الحديث.
12. سعيد إسماعيل، الصيني. (2010). *قواعد أساسية في البحث العلمي* (ط.2). المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية : مكتبة الألوكة.
13. سليمة. (2017). *البحث العلمي والمنهجيات العلمية* (دط). سوريا: كلية الزراعة، جامعة حماه.
14. غرايبية، فوزي. (1981). *أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية* (المجلد ط2). عمان، الأردن: الجامعة الأردنية.
15. محمد، شطوطي. (2002). *منهجية البحث مذكرة تخرج ماجستير دكتوراه دولة* (دط). باب الواد، الجزائر : دار مدني.
16. محمود، يعقوبي. (1995). *أصول الخطاب الفلسفي، محاولة في المنهجية* (دط). بن عكنون، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.
17. مصلحة شؤون الطلبة. (2015). *دليل الباحث في كتابة البحث وشكله (الخطة والبحث النهائي)* (الإصدار إصدار رقم2). طرابلس: جامعة الجنان.
18. ميلود، سفاري. (1995). الأسس المنهجية في توظيف الدراسات السابقة. *مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية*،(عدد خاص).